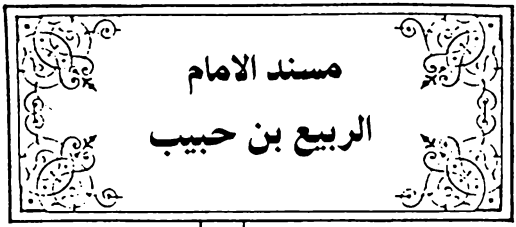

. . . وما آثرت تخريج أحاديث المسند والشرح ، ولا سيما ما رواه الشيخان إلاَّ لتطمئن قلوب إخواني أبناء السنة بأن مسند الربيع الذي بني عليه المذهب الإباضي هو صحيح الأحاديث ، وأكثرها مما جاء في الصحيحين ، وجابر بن زيد ممن روى عنهم البخاري وغيره لكيلا يقع فيما وقع فيه خصوم الأباضية أو من لم يعرف حقيقة مذهبهم وعقيدتهم . . .

مسند الامام الربيع بن حبيب[1]

بقلم : الشيخ عز الدّين التنُّوخي

الحمد لله وله الفضل والمنّة، على أن هدانا للعمل بالكتاب والسنة ، والصلاة والسلام على المبعوث من أنفُس العرب رحمةً للعالمين ورؤوفاً رحيماً بالمؤمنين ، وعلى آله وصحبه المجاهدين والغرّ الميامين .

وبعد فما جاء في فتح الباري[1] أن آثار النبي ﷺ لم تكن في عصر الصحابة وكبار تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين :

أحدهما : أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نُهوا عن ذلك ، كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم .

وثانيهما : لسعة حفظها وسيلان أذهانهم ، ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة ، ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار ، لمّا انتشر العلماء في الأمصار ، وكثر الابتداع من الروافض ومنكري الأقدار ، فأوّل من جمع ذلك الربيع بن صبيح (ـ 160 هـ) وسعيد بن أبي عروبة (ـ 156 هـ) وغيرهما ، وكانوا يصنّفون كل باب على حدة إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدونوا الأحكام ، فصنف الامام

---

(1)الشيخ عزّ الدين التنوخي (سوري) . .عضو المجلس العلمي السوري ، من علماء الحديث البارزين .

(1) للحافظ ابن حجر ص 4 ، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1301 هـ .

مالك (93 ـ 179 هـ) الموطّأ ، وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين ومن بعدهم ، وصنف أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج (70 ـ 150 هـ) بمكة ، وأبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (88 ـ 157 هـ) بالشام ، وأبو عبد الله سُفيان بن سعيد الثوري (97 ـ 161 هـ) ، وأبو سَلَمة حمّاد بن سلمة بن دينار (ـ 167 هـ) بالبصرة ، ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج على منوالهم ، إلى أن رأى بعض الأئمة أن يُفرد حديث النبي ﷺ خاصةً وذلك على رأس المائتين ، فصنف عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي مسنداً ، وصنف مسدّد بن مسرهد (ـ 228 هـ) مسنداً ، وأسد بن موسى الأموي مسنداً (122 ـ 212 هـ) ، وصنف نعيم بن حمّاد الخُزاعي مسنداً (ـ 228 هـ) .

صفاته : كان رحمه الله ضريراً قويَّ الذاكرة والذكاء ، وكان شديد اليقظة على تطورات قومه بعمان ، فقد عمل كثيراً على إعادة الامامة إلى القطر العماني الذي قلّما عرف الملكية قديماً إلا في ظروف شاذة كما وقع على عهد بني نبهان في عصر ابن بطوطة ، ولم يكن يكتم ميوله وآراءَه في الامامة عن السلطان فيصل بن تركي سلطان عمان ، ولكنه لم يجد منه انقياداً الى إعلان الامامة بدسائس الانكليز الذين يتحينون الفرص للانقضاض على أقطار الخليج العربي ، ومطامعهم في جزيرة العرب ونفطها ومعادنها لا تحتاج الى تعريف .

وما زال هذا العالم العامل يعمل على بث الدعاية للامامة لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يخشى في اعلان الامامة سطوة غاشم حتى بدت للعلماء المساعي البريطانية لحمل سلطان مسقط على الاعتراف بالحماية البريطانية ، فأسلس العلماء القياد للنور السالمي شارح هذا المسند وأعلنوا الامامة

بمبايعة الامام التقي العلامة سالم بن راشد الخروصي ، وبذلك نهض المترجم ببلاده وأقصى عنها أخطار الاستعمار ، **وما في عمان اليوم من علماء إلا وهم تلاميذه ، ولا فيها من روح قومية مقاومة للمستعمرين الا منه ، فهو مضرم نارها وملهب أوارها . وان الانسان ليعجب كيف استطاع أن يؤلف تلك المكتبة في عمره القصير وهو لم يبلغ الخمسين ، فهو في قصر عمره وكثرة كتبه نظير شيخنا الجمال القاسمي بدمشق رحمهما الله ، ومن تلك الكتب :**

1) « تحفة الأعيان في تاريخ عمان » جزءان طبع أولها بمصر .

2) « الحجج المقنعة في أحكام صلاة الجمعة » طبع بهامش شرح طلعة الشمس في أصول الفقه .

3) « شرح المسند الصحيح » للامام الربيع بن حبيب الفراهيدي ، من أئمة القرن الثاني ، في أربعة أجزاء طبع الأول والثاني منها بمطبعة (الازهار) البارونية ، والثالث بالمطبعة العمومية بدمشق في هذه السنة .

4) « سواطع البرهان » رسالة في تطورات العصر في اللباس جواب لسؤال بعض أهل زنجبار .

5) « مدارج الكمال » ارجوزة في الفروع الفقهية تنيف على ألفي بيت ، وهو نظم مختصر الخصال للامام أبي اسحق الحضرمي . مطبوعة .

6) « معارج الآمال » شرح لهذه الأرجوزة ، وهي تنبيء عن غزارة علمه ورسوخه في علم الشريعة قيل أنه يبلغ ستة عشر جزءاً .

7) « غاية المراد » أحد متون أصول الكلام .

8) « مشارق أنوار العقول » شرح ارجوزته في أصول الدين شرحها شرحاً وافياً عدَّ به من أحسن كتب الأصول تحقيقاً وتحريراً وتنسيقاً طبع بمصر .

9) « أنوار العقول » ارجوزة في أصول الدين تزيد على 300 بيت .

10) « بهجة الأنوار » شرح (أنوار العقول) طبع بهامش طلعة الشمس .

11) « طلعة الشمس » الفه في أصول الفقه ، من أجلّ متون هذا الفن وأكثرها نفعاً .

12) شرح طلعة الشمس في أصول الفقه جدير بأن يعد من أنفس كتب الأصول .

13) « جوهر النظام » ارجوزة في الأديان والأحكام الشرعية والحِكم ، وهي بضعة عشر ألف بيت . مطبوعة :

14) « بلوغ الأمل » ارجوزة في أحكام الجمل الثلاث في الاعراب ، نفيسة جداً .

15) « الفتاوي العمانية » في سبعة أجزاء منها كتاب حل المشكلات

16) رسالة تلقين الصبيان لمدارس عمان ، وقد طبعت بدمشق بالمطبعة العمومية هذه السنة باشرافنا ، وهي رسالة مفيدة للصبيان والرجال معاً .

17) « المنهل الصافي في العروض والقوافي » ارجوزة تزيد على 300 بيت .

هذا حكم (المتصل) من أخبار هذا السند ، و (المنقطع) بارسال أو بلاغ في حكم الصحيح لثبوت وصله من طرق أخرى ، وأما (المرسل) فقد جاء في التدريب (67) عن ابن جرير قال :

« أجمع التابعون بأسرهم على قبول (المرسل) ولم يأت عنهم انكاره ولا عن أحد من الأئمة بعدهم الى رأس المائتين ، قال ابن عبد البر : كأنه يعني أن الشافعي أول من ردّه ، وقال السخاوي في فتح المغيث قال أبو داود في رسالته : أما المراسيل فقد كان أكثر العلماء يحتجون بها فيما مضى مثل سفيان الثوري ومالك والأوزاعي حتى جاء الشافعي فتكلم في ذلك وتابعه

أحمد وغيره .

وقلّ من المشتغلين بالحديث في ديارنا الشامية وفي مصر والعراق وغيرها من له معرفة برجال هذا المسند الثلاثة ، ولذا يحسن بنا أن نعرّفهم ولو بايجاز ، فأول رجال السند هو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي الذي توفي في ولاية أبي جعفر المنصور (95 ـ 158 هـ) ، وقد أدرك من أدركه جابر بن زيد ، فروايته عن جابر رواية تابعيّ عن تابعي ، وقد روى جابر أيضاً عن جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وأبي هريرة وابن عباس وأبي سعيد الخدري وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وروايته هذه عنهم موجود بعضها في هذا المسند الصحيح ، وهي رواية تابعي عن صحابيّ .

شيوخه : أخذ أبو عبيدة العلم عمّن لقيه من الصحابة وعن الجابرين : جابر بن عبد الله وجابر بن زيد ، وعن صحار العبدي وجعفر بن السماك وغيرهم .

تلاميذه : وحمل العلم عن أبي عبيدة خلق كثير منهم : الربيع بن حبيب الفراهيدي صاحب هذا المسند ، ومنهم (حملة العلم الى المغرب) وهم أبو الخطاب المعافري وعبد الرحمن بن رستم وعاصم السدراني واسماعيل بن درار الغدامسي وأبو داود القبلي النفزاوي ، وكان الامام أبو الخطاب المعافري قد جاء من اليمن فرافق الأربعة من أهل المغرب فخرج معهم الى بلادهم فنصبوه عليهم بأمر شيخهم أبي عبيدة ، وبأمره نُصب الامام عبد الله بن يحيى الكندي في أرض اليمن ، وجمعت إمارته اليمن والحجاز ، وأقام حملة العلم عنده خمس سنين فلما أرادوا الوداع سأله اسماعيل ابن درار عن ثلاث مائة مسألة من مسائل الأحكام فقال له أبو عبيدة : « أتريد أن تكون

قاضياً يا ابن درار ؟ » قال : « أرأيتَ إن ابتُليتُ بذلك ؟ » .

واليك ما يقوله الشارع المعتدل المنصف في مقدمة كتابه تحفة الأعيان[3] : « وندعو الى كتاب الله ومعرفة الحق وموالاة أهله ، فمن عرف منهم الحق وأقرّ به توليناه وحرَّمنا دمه ، ومن أنكر حق الله منهم واستحبّ العمى على الهدى وفارق المسلمين وعاندهم فارقناه وقاتلناه حتى يفيءَ الى أمر الله أو يهلك على ضلالته من غير ان ننزلهم منازل عبدة الأوثان ، فلا نستحلّ سبايا هم ولا قتل ذراريهم ولا غنيمة أموالهم ولا قطع الميراث منهم (كغلاة الخوارج) ، ولا نرى الفتك بقومنا ولا قتلهم في السرّ ، وإن كانوا ضلالاً ، لأن الله لم يأمر به في كتابه ، ولم يفعله أحد من المسلمين ممن كان بمكة بأحد من المشركين ، فكيف نفعله نحن بأهل القبلة ، ونرى أن مناكحة قومنا وموارثتهم لا تحرم علينا ما داموا يستقبلون قبلتنا ، ولا نرى أن نقذف أحداً ممن يستقبل قبلتنا بما لم نعلم انه فعله خلافاً (للخوارج !) الذين يستحلون قذف من يعلمون انه بريء من الزنا من قومهم ، وهم بذلك مضلون » ا هـ .

فالاباضية اليوم بعُمان والمغرب من بقايا الخوارج المعتدلين والمتمسكين بالكتاب والسنة ، وقال النور السالمي ايضاً : « ليس من رأينا بحمد الله الغلو في ديننا ولا الغشم في أمرنا ولا التعدي على من فارقنا .. الله ربنا ومحمد نبينا والقرآن إمامنا والسنة طريقتنا وبيت الله الحرام قبلتنا والاسلام ديننا ! » ولذلك

---

(3) مقدمة « تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان » .

يحرم على المسلم اتهام أخيه المسلم في دينه بعد مثل هذا الاعتراف ، فيكون من المتألّين الذين يسارعون في تكفير المسلمين وهم الذين عناهم النبي ﷺ بقوله : « ويلٌ للمتألّين من أمتي » أي الذين يحكمون على الله بقولهم فلان في الجنة وفلان في النار .

واذا اطّلع المنصف على هذا الشرح وجد الشارح واسع الاطلاع وألفى شرحه واضحاً مبيناً وتعابيره صحيحة فصيحة ، اسلوبها المساواة فلا هي مسهبة مملة ولا مفرطة الايجاز مخلة ، وأما أبحاثه فيها فانها تدل على اعتدال في التحقيق وبعد عن التعصب ، فكثيرا مل ينقل عن العلماء المخالفين : كالحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة ، ويستشهد بأحاديث الشيخين وأئمة الحديث كأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارقطني والطبراني والبيهقي وغيرهم من أهل السنة والجماعة ، مما يدل على أن الأباضية في المشرق والمغرب مذهب قريب من مذاهب السنة ، والناظر في شرح النور السالمي عالم عمان يمتلىء طمأنينةً بما ذكرته ، وقلما رأينا من رجال المذاهب غير السنية من يستشهد برجال الحديث والفقه من أهل السنة إلا استشهاد نقد وردّ ، وما آثرت تخريج أحاديث المسند والشرح ، ولا سيما ما رواه الشيخان إلا لتطمئن قلوب اخواني أبناء السنة بأن مسند الربيع الذي بني عليه المذهب الاباضي هو صحيح الأحاديث ، وأكثرها مما جاء في الصحيحين ، وجابر بن زيد ممن روى عنهم البخاري وغيره لكيلا يقع فيما وقع فيه خصوم الاباضية أو من لم يعرف حقيقة مذهبهم وعقيدتهم فيظنهم من الخوارج الغلاة كالأزارقة والنجدية والصُّفرية المانعين لموارثة

ومناكحة مخالفيهم .

ومن أعلم أهل السنة بالاباضية وأعظم من كتب عن الخوارج الامام المبرّد في كتابه الكامل فقد قال ما نصه : « قول ابن إباض أقرب الأقاويل الى السنة » ، وقال ابن حزم : « أسوأ الخوارج حالاً الغلاةُ وأقربهم إلى قول اهل الحق الأباضية » ، وابن إباض هو عبد الله بن إباض المري التميمي الذي عاصر معاوية وعدّه الشماخي في السير في التابعين ، وكان من اتباع الامام جابر بن زيد مؤسس المذهب الاباضي ولو نسب المذهب الى جابر بن زيد تلميذ ابن عباس لكان في رأيي أصح علماً وأصدق نسباً .

الثلاثيات : وقد ذكر أئمة الحديث أن رتب الصحيح تتفاوت الأوصاف المقتضية للتصحيح ، وأن من المرتبة العليا ما أطلق عليه بعض رجال الحديث أنه أصح الأسانيد الثلاثية كسند الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه ، وسند ابراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود ، وسند مالك عن نافع عن ابن عمر ، وهو قول البخاري ، لأن هذه الأسانيد قصيرة السند وقريبة الاتصال بالينبوع المحمدي ، واشتهر رجالها بقوة الحفظ والضبط وكال الصدق والصيانة والأمانة ، وذهب الامام أبو منصور التميمي إلى أن أجلّ الرواة عن الامام مالك بن أنس هو الشافعي ، فأجلّ الرواة على ذلك ما رواه الامام أحمد بن حنبل عن الشافعي عن مالك ويسمى هذا السند : سلسلة الذهب .

ويشبه هذه السلاسل الذهبية سلسلة مسند الربيع بن حبيب وثلاثياته أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس ، ورجال هذه السلسلة الربيعية من أوثق الرجال وأحفظهم وأصدقهم لم يشب أحاديثها شائبة إنكار ولا إرسال ولا انقطاع وإعضال ، لأن الثلاثيات بأجمعها موصولة باتصال أسنادها ولم

يسقط من أسانيدها الثلاثية أحد ، و (المعضّل) هو ما سقط من إسناده اثنان فأكثر بشرط التوالي كقول مالك : قال رسول الله ﷺ وقول الشافعي : قال ابن عمر ، وقد يورد على قولنا هذا أن في مسند الربيع البلاغ والسماع مما يجعل الحديث مرسلاً ، ويجاب على هذا القول أن رجال هذا المسند إذا نقلوا عن غير مشافهة بينوا ذلك بقولهم : بلغني أو بلغنا ، أو سمعت عن فلان أو نحو ذلك مما يبعد بالمسند عن التدليس ، فهم رحمهم الله أجلُّ وأتقى من إن يوهموا الناس السماعَ وليسوا بسامعين ، وبذلك يظهر أن عظمة هذا السند مقطوع باتصالها ، لأن أبا عبيدة أخذ عن جابر وجابر أخذ عن الصحابة مباشرة ، حتى قيل : ان أبا عبيدة أدرك من أدركه جابر من الصحابة .

وأما جابر بن زيد الجوفي[1] الأزدي أبو الشعثاء (ـ 93 هـ) أصل المذهب الاباضي في عمان والمغرب[2] وصاحب عبد الله ابن عباس فقد كان أشهر من صحبه وقرأ عليه ، وذكر أبو طالب المكي في كتابه (قوت القلوب) أن ابن عباس قال : « اسألوا

---

(1) الجوفي نسبة الى ناحية بعُمان ، فان أصله من فرَق ، وهي من أعمال نزوى بالقرب منها ، وكان من اليحمّد ، رحل في طلب العلم وسكن البصرة فنسب اليها .

(2) وهو قريب من مذاهب أهل السنة لاعتماده في عقائده وعباداته ومعاملاته على الكتاب والسنة كما يراه في هذا الشرح المنصف الذي جمع شتات المسلمين وكلمة العرب ، وقد شرحت ذلك في ترجمة الأمام ابن دريد في مجلة (المجمع العلمي العربي) بدمشق في الجزء الأول من المجلد الثامن والثلاثين سنة 1382 هـ = 1963 م .

جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه » ، وقال إياس بن معاوية : « رأيت البصرة وما فيها مفتٍ غير جابر بن زيد ، وقال الحصين : « لما مات جابر بن زيد وبلغ موته أنس بن مالك قال : مات أعلمُ من على ظهر الأرض » ، ولما مات جابر بن زيد ودفن قال قتادة : « أدنوني من قبره » فأدنوه فقال : « اليوم مات عالم العرب ! » .

وعن ابن عباس قال : « عجباً لأهل العراق كيف يحتاجون الينا وعندهم جابر ابن زيد ! لو قصدوا نحوه لوسعهم علمه » .

شيوخه وتلاميذه الذين حمل عنهم العلم وحملوه عنه : أولهم وأخصهم به عبد الله ابن عباس فقد أكثر من الحمل عنه ، ومعاوية وعبد الله بن عمر ، وممن أخذ عنه قتادة وعمرو بن دينار وأيوب وخلق .

واذا تأمل الانسان روايات هذا المسند وجده يروي عن كثير من الصحابة ، واذا كان عدد من لقيهم من أهل بدر بلغ سبعين رجلاً فما ظنك بمن لقيهم جابر بن زيد من سائر الصحابة ، وأشهر أصحابه الرّاوين عنه أبو عبيدة ، ومنهم ضمام بن السائب وأبو نوح وحيّان الأعرج وكلهم من الفقهاء المجتهدين ، وناهيك قوله : أدركت سبعين رجلاً من أهل بدر فحويت ما بين أظهرهم إلا البحر ! (ابن عباس) .

شرح المسند : أما شارح هذا المسند فمن الحق أن نلمّ من ترجمته بما يصوّر حقيقته ويبيّن منزلته بين العلماء المحققين فهو الشيخ نور الدين أبو محمد عبد الله ابن حميّد بن سلّوم بن عبيد بن خلفان بن حميس السالمي الضّبي (1286 ـ 1332) انتهت اليه رئاسة العلم بعُمان ، وظهر ذلك في تآليفه الجمّة في مختلف الفنون الشرعية والعربية مع التحقيق في مسائلها والاجادة في تأليف كتبها

ورسائلها .

ومن مزايا هذه الثلاثيات أو السلاسل الذهبية سهولة حفظها ، وحافظ المسند الثلاثي الرجال إذا روى حديثاً من أحاديثه صدَّره بسنده الثلاثي الذي لا يختلف في جميع أبوابه ، وحفظ الأحاديث الثلاثية أيسر على المستظهر من حفظ سلاسل طويلة كثيرة الحلقات والرجال ، ولأنه يسهل على حافظ الثلاثيات معرفة رجالها لقلتهم والتثبت من أوصافهم بالحفظ والصدق والأمانة أكثر مما يعرفه عن رجال سلسلة عديدة الحلقات قد يوجد بينهم من لا يطمئن القلب بصدقه وديانته مما يضعف الحديث ويجعله غير مقبول .

ولمزايا هذه الثلاثيات اهتم كثير من أئمة الحديث بتأليف الثلاثيات نذكر منها :

ثلاثيات الامام أحمد بن حنبل المطبوعة أخيراً بدمشق (1380) وشرحها في جزأين الامام محمد السفاريني ، وعدد ثلاثياته خمسة وستون ومائة حديث .

وثلاثيات البخاري وهي في صحيحه اثنان وعشرون حديثاً غالبها عن مكي ابن ابراهيم ممن حدَّث عن التابعين ، وهم في الطبقة الاولى من شيوخه مثل محمد ابن عبد الله الأنصاري وأبي عاصم النبيل وأبي نعيم وخلاّد بن يحيى وعلي بن عباس .

وثلاثيات الدارمي وهي خمسة عشر حديثاً وقعت في مسنده بسنده .

- وثلاثيات الشيخ أبي اسحق ابراهيم بن محمد بن محمود الناجي وغيرهم .

ونضيف اليوم اليها :

ثلاثيات الربيع بن حبيب الأزدي ، وأحاديثها في مسنده من أصحها روايةً وأعلاها سنداً ، ورجال سلسلته الثلاثية

الحلقات هم : أبو عبيدة التميمي وجابر بن زيد الأزدي والبحر عبد الله بن عباس شيخ جابر وغيره من الصحابة ، وهم بأجمعهم مشهورون بالحفظ والضبط والأمانة والصيانة ، وهذا السند لا يختلف في جميع أبواب المسند كما يختلف في سائر كتب الثلاثيات .

ثم اقتفى الأئمة بعد ذلك أثرهم فقلّ إمام من الحفّاظ إلا وصنف حديثه على المسانيد كالامام أحمد بن حنبل (164 ـ 241) واسحق بن راهويه (161 ـ 238) وعثمان بن شيبة وغيرهم من النبلاء ، ولما رأى البخاري هذه التصانيف ورواها وجدها جامعة للصحيح والحسن ، أو لكثير منها يشمله التضعيف فحرّك همته لذلك ما سمعه من أستاذه اسحق بن راهويه حيث قال لمن عنده ، والبخاري فيهم : « لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ ! » قال البخاري : « فوقع ذلك في قلبي ، فأخذت في جمع الجامع الصحيح » .

وقال السيوطي : وأما ابتداء تدوين الحديث فانه وقع على رأس المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز .

ثم ذكر الحافظ ابن حجر في فتحه : أن أول من دوّن الحديث ابن شهاب (الزهري) بأمر عمر بن عبد العزيز كما رواه أبو نعيم من طريق محمد بن الحسن عن مالك ، ومرّ بنا الآن أن أول من جمع الآثار وبوّب الأخبار هو الربيع بن صبيح وسعيد بن أبي عروبة ، ولم يذكر الربيع بن حبيب الفراهيدي الأزدي ولا مبران العدوي البصري ، والربيع بن حبيب صاحب هذا المسند من ثقات التابعين ، فقد أخذ كثيراً عن أبي عبيدة التميي كما أدرك أبا الشّعثاءِ جابر بن زيد والربيع شاب ، وجابر بن زيد من أشهر تلاميذ الحبر البحر عبد الله بن عباس ، ومع أنا لم نعثر على

تاريخ حياته فانا نقدّر أنه بدأ بجمع مسنده في صدر المائة الثانية ، وأنه أطلع شيخه أبا عبيدة على مسنده هذا المبارك .

ومن يمن الطالع على الحديث أن يكون الربيعان ، الربيع بن صبيح والربيع ابن حبيب في طليعة ركب الجامعين للحديث والمصنّفين فيه ، ومن الأسف أنا لا ندري شيئاً عن مصير مسند ابن صبيح ، وعسى أن يهتم بذلك الباحثون عن نفائس المخطوطات ، ومن لطف الباري أن أبقى لنا مسند الربيع بن حبيب ، ثم من نعمته عليّ أن وفقني لاعادة نشره مع شرح علاّمةُ عمان عبد الله بن حميد السالمي ، ولما يطلع على المسند وشرحه من علماء مصر والشام والعراق إلا قليل .

ويُفهم من شرح هذا المسند أن الشارح من المتمسكين بالحديث الصحيح وأرباب العقل الراجح والمعظمين للرسول ﷺ وأقواله والمهتدين بسنته وأفعاله ، فهو في شرحه لهذا المسند يمحّص أقوال العلماء ويختار على أقوال أهل المذهب ما صحّ من حديث الرسول ﷺ ، فليس هو ممن يرى (العمل على الفقه لا على الحديث) قال شارح « الصراط المستقيم » : « اذا وجد تابعُ المجتهد حديثاً صحيحاً مخالفاً لمذهبه هل له أن يعمل به ويترك مذهبه ؟ فيه اختلاف ، فعند المتقدمين له ذلك ، قالوا : لأن المتبوع والمقتديّ به هو النبي ﷺ ومن سواه فهو تابع له ، فيعد أن عُلِمَ وصحَّ قوله ﷺ فالمتابعة لغيره غير معقولة » . قلت : ولذلك لا يجوز التعصب للمذاهب تعصباً يُستهتر به بحديث الرسول ﷺ فان ذلك من الفسق والبعد من الدين والخروج على سيرة الصحابة والتابعين ، ومن هؤلاء المتعصبين الجامدين ـ كما يقول بعض الأئمة ـ من إذا مرَّ عليهم حديث يوافق قول من قلّدوه انبسطوا ، واذا مرَّ عليهم حديث يخالف قوله أو يوافق مذهب غيره ربما انقبضوا ولم يسمعوا قول الله تعالى : (فلا وربك

لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيتَ ويسلموا تسليماً) .

هذا ، وما كان أهل عمان أقرب فرق الخوارج الى أهل السنة إلا لأن مذهبهم كما أطّلعت عليه مبني على السنة وتقديم العمل على الحديث لا على الفقه والمذهب ، عملاً بما جرى عليه إمامهم جابر بن زيد الذي عمل بنصيحة شيخه عبد الله بن عمر الذي روى عنه ؛ فقد جاء في « الحجة البالغة » ان ابن عمر رضي الله عنه قال لجابر بن زيد : « إنك من فقهاء البصرة فلا تُفتِ إلا بقرآن ناطقٍ أو سنة ماضية ، فانك إن فعلتَ غير ذلك هلكتَ وأهلكتَ » . ولذلك نعتقد ونقول : إن المعقول ومن القلب المقبول أن لا نهتدي إلا بقوله تعالى : (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) .

عز الدين التنوخي